

# المصاحف

١٣١٥

﴿ يوم السبت ١٠ محرم سنة ١٣١٧ الموافق ٢٠ مايو - أيار - سنة ١٨٩٩ ﴾

## ﴿ التصرف في الكون ﴾

( سنستدرجهم من حيث لا يظنون - وأملئ لهم ان كيدي متين )

واحررتنا على أمة أعطيت أمثل التعاليم . وهديت الى الصراط المستقيم .  
فألبست تاج السيادة . وأفرغت عليها حلال المادة . ثم ما عتمت . ان حرقت  
وانحرقت . وتمزقت بعد ما اجتمعت . حرقت التعاليم فاشتبه عليها الباطل بالحق  
واتبعت السبل ففرقت بها عن سبيل الحق . وكانت أمة واحدة . فأمت  
شيما متعددة - فذاق بعضها بأس بعض . ثم امتهنت في جميع بقاع الارض .  
( انظر كيف تصرف الآيات ثم هم يصدفون )

سعادة الانسان في هذه الحياة الدنيا في معرفة المتافع والمصالح باسبابها .  
واتيان البيوت من أبوابها . ويحصل هذا بالنظر والتأمل . والاختبار والتأمل .  
وبناء اللاحق . على عمل السابق . حتى تظهر السنن الكونية . والنواميس  
الطبيعية . التي لا يضل من اهتدى اليها . ولا يصل الى الفاية الا من سار  
عليها . ولكن دون الوصول الى معرفة سنن الله في خلقه عقبته . وفي طريق

النظرين - العقلي والحسي - شبهات ( قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تعني الآيات والتذرعن قوم لا يعقلون )  
 ما أعظم عناية الله بالانسان منحه أنواعاً من الهداية ليصل بها الى سعاده - الالهام القطري والوجدان الطبيعي والمشاعر الظاهرة والباطنة والعقل والدين وكل هداية من هذه الهدايات تصلح ما يقع من الخطأ الذي يمرض للهداية الاخرى ولا يصل الانسان الى حد كماله الا بمجموعها ولكن الانسان خلق ضعيفاً فمع هذه الهدايات كلها لم يزل الضلال آخذاً بزمامه والشقاء في شعوبه ضارباً بجمرانه وما ذلك الا لقلة ناموس الارتقاء التدريجي على جميع هذه الاشياء ولا بد ان يصل الانسان به الى كماله ولو بعد قرون فانتظروا وانامتظرون الدين اعلى أنواع الهداية ومرشدها ومدبرها وقد سار كثيره على سنة الارتقاء فكان آخره (وهو الاسلام) اكمله والى ذلك الاشارة بما جاء في انجيل يوحنا عن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام من قوله (١٥) ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي ١٦ وانا اطلب من الآب فيعطىكم فارقليط آخر ليثبت مسكنكم الى الابد) اي ثبت تعاليمه فلا يأتي بعدها تعاليم الهية ثم قال (٢٦) والفارقليط روح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلته لكم) ومعلوم انه لم يمت نبي علم البشر كل شيء يحتاجونه في سعادتهم الا نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام فموسى جاء بشريعة عملية وعيسى جاء باخلاق روحية ومحمد علم الناس العقائد والاخلاق واحكام الشرائع بانواعها وجمع بتعليمه بين مصالح الروح والجسد ومنافع الدنيا والآخرة ووفق بين العقل والدين وارشده الى سنن الكون والاعتبار بها فكان من مقتضى هذه التعاليم ان تكون اتباعه اسعد الناس

حالاً وان يسودوا على سائر الأمم ولقد كان هذا كله ثم اتبعوا سنن من قبلهم  
فلما زاغوا عن ذلك الصراط المستقيم في اخلاقهم واعمالهم ازاع الله قلوبهم  
والله لا يهدي القوم الفاسقين

قال لهم هذا الدين اطلبوا الاشياء بأسبابها ( واتوا البيوت من ابوابها )  
وارشدهم الى ان سعادتهم وشقاؤهم نتيجة اعمالهم وانه ( لا يكلف الله نفساً الا  
وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ) فقام فيهم محرفون زعموا انه ليس  
في وسمهم شيء من العمل ولا طاقة لهم على القيام بمصالحهم ومنافعهم زاعمين  
انهم يعظمون الله تعالى بمصادمة فطرته ومصادرة شريعته وقد فئدنا هذا  
المذهب في مقالة (الاعتماد على النفس) من الجزء الماضي وهو العقبة الكبرى  
في طريق الاصلاح الاسلامي وانشأنا هذه المقالة لتمهيد عقبة اخرى  
ضررها يوازي ضرر الاولى في الحيلولة بين الامة وسعادتها وان كانت في  
حقيقتها مناقضة للاولى عقلاً ودينياً الا وهي عقيدة تصرف بعض العباد في الكون  
بأن ليس من العجيب ان يسلب قوم انفسهم العمل الثابت لهم بالوجود  
والوجدان سواء كان بمبداه او بنائيه لاجل تعظيم جانب الالهية التي  
منحتهم اياه ثم يزعمون ان منهم من يتصرف في الكون ويقدر على قلب  
نواميسه وتبديل سننه وتحويرها فيستعد ويشقى ويفقر ويعني من غير سبب غير مجرد  
تصرفه وذلك او الاستعانة بطلاسه مما اختص الله تعالى بالندرة عليه من دون عباده  
كما هو ثابت بالدلائل العقلية والنقاية جميعاً . أليس من الجهالة العمياء ان نبتد  
البراهين العقلية وتصرف الآيات القرآنية عن ظواهرها لاجل تصحيح  
هذه المسئلة التي ما نزل الله بها من سلطان ؟ اليس من البلاء العام ان  
تكون قلوب معظم افراد الامة متعلقة بالاضرحة والقبور وبجماعة من

الدجالين والمشعوذين . او البله والمجانين . ممتقدة بهم انهم يدفعون مصاباً .  
 ويزيلون اوصاباً . او يملكون تماماً واسعاداً . وينيلون هداية وزشاداً . بمجرد  
 اسرارهم الباطنية . وقوام القبيية ؛ اليس من الانحراف عن الدين ان تلهج  
 الالسنه بالاموات وتستمين بالمظام الرفات . كلما نزل خطب . او الم كرب ؛  
 هذه العقيدة المضرة نفتسها في روح الامة الاسلامية قوم من مدعي  
 الصلاح والارشاد الذين ومقتهم العامة بمين الاعتقاد وذلك بمد امتزاج  
 المسلمين باهل الملل الاخرى الذين خضعوا لرؤسائهم الروحانيين خضوعاً اهمى  
 بل اتخذوهم ارباباً . وجعلوهم عن الحضرة الالهية نواباً . وما من امتين تمازجان  
 الا ويسري لكل واحدة من الاخرى شيء مما هي عليه تأخذه برمته او  
 تصبغه بغير صبغته . واتقد تلاعب الدجالون بمامة هذه الامة فزعزعوا بمثل  
 هذه الاوهام عتائدها . وهدموا بالتصويبات قواعدها . طلبا للمال والجاه .  
 ولا حول ولا قوة الا بالله . واتقد آل بهم الامر الى جراءة افسق المساق  
 وافجر العجار من شيوخ الطريق على دعوى التصرف في الكون والانتقام ممن  
 لا يخضع له فضلاً عن ينال منه بقول او عمل ويستدلون على ذلك بما لا يخلو  
 عنه الكون من مصائب نزل بأعدائهم لحصول اسبابها الطبيعية وبمثل هذا  
 يستدل المعتقدون بصرف الاموات يقولون حلف فلان بالولي القلافي كاذباً  
 فرماه بسهم امرضه او امات ولده او قريبه ونحو ذلك ولا يقولون ذلك فيمن  
 يحلف بالله كاذباً ويوجد في المسلمين ألوف كثيرة يتجرؤن على الحلف بالله  
 كذباً ولا يحرك أحدهم لسانه بالحلف بالولي او الشيخ الذي يمتقده لاسيما اذا  
 كان عند قبره وقد صرح الفقهاء بانه لا يجوز الحلف بغير الله مطلقاً وقالوا من  
 حلف بغير الله مطلقاً له كتعظيم الله تعالى في ذلك كان كافراً فماذا عساه

يقولون فيمن يزيد في تعظيم الشيخ على تعظيم الله تعالى كالذي علمت  
ومن هؤلاء الدجالين من يسمى بإيقاع الضرر بحدوه بأسبابه المادية  
لا سيما النفوذ والجاه الدنيوي كمساعدة الحكام الظالمين وغيرهم ثم يدعي بعد  
ذلك أنه تصرف فيه بسره ومدد شيوخه وأجداده فيقول ان فلاناً تكلم في  
فقطعت لسانه وفلاناً ناوأني فمزل من وظيفته وفلاناً آذى بعض أتباعي فحبس  
ونكب ويففل الانوك عن وقوف الناس على أسباب هذه النكبات وعرفاتهم  
ان مثلها من تصرفات الاشرار لامن تصرفات الاسرار ولا يعتبر المفروور بما  
ينزل بانصاره من البلاء كالنبي والجنون وتنف اللحي وقلع الميون بل بما ينزل  
به نفسه أحياناً وذلك لانه يأول لنفسه عند نزول البلاء بأن أشد الناس بلاء  
الانبياء ثم الامثل فالامثل فاذا كشف عنه قال انما نزل به ما نزل لتظهر  
استزاره وعناية الله تعالى به نعوذ بالله من الاستدراج بالمفروور والتفريير

ألم يعلم المدعي الجاهل بل الخادع المتجاهل ان الناس يعلمون بان اكابر  
شيوخهم كانوا يشتمون ويهانون وما كان يحل بمن اهانهم بلاءه هذا الشيخ  
احمد الرفاعي الكبير (رحمه الله تعالى) كان يفضله ويفمزه اكابر العلماء في عصره (١)

(١) ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني (رحمه الله تعالى) في كتاب لطائف المنن  
(صفحة ١١١ و ١١٢ من النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الاميرية سنة ١٢٨٨)  
مانعه ( وكان الشيخ سالم السلماباذي يحطاه واصحابه كثيراً على سيدي أحمد بن  
الرفاعي فلقبه مرة سيدي أحمد في طريق ومعه اكابر اصحابه فأول ما آهم سيدي أحمد  
نزل عن دابته وكشف رأسه وقبل لهم الارض (انظروا وتأملوا) وقال لاصحابه بالله  
عليكم ان اغلظوا علي القول فاصبروا ساعة فلما قيل يد السلماباذي ورجله وهو راكب  
(اعتبروا) تلقاه بكل قبيح وشتمة وقال له اي أنور أي دجال أي مستحل الحرام أي  
مبدل القرآن أي ما جد حتى قال له أي كلب هذا كله وسيدي أحمد يقبل يده ويتول

ولم ينقل انه تصرف بأحد منهم فقطع لسانه مثلاً مع ان أكثر اهل طريقته يدعونه أكثر مما يدعون الله تعالى وقد نسبوا له العظام حتى قالوا انه كان يتصرف في الدنيا والآخرة وكان يبيع قصوراً في الجنة كما يفعل بمض رؤساء الأديان الأخرى ويكتب بذلك صكوكاً (٢) وينقل الخادع والمخدوع عما

أي سيدي بفضلك ارض عني وأنا خادمك وحلمك يسعني ( الخ وذكر في الصفحة ١٧ أيضاً مانصه ( وكان الشيخ ابراهيم الاعزب يقول كان البستي (هو من أكابر العلماء) يحط على سيدي أحمد فارسل مرة له كتاباً فيه أي أعور أي دجال أي مبتدع أي من جمع بين الرجال والنساء الكلب بن الكلب ( تأملوا) فارسل له الجواب صدقت فيما قلت جزاك الله عنا خيراً فلا تخلفني من دعائك يا أخي وحلمك يسعني ( ثم قال الشعراني (وروي الشيخ عبد الرحمن القوسي رضي الله تعالى عنه بسنده الى يعقوب خادم سيدي أحمد قال كنت كلما لقيت الشيخ عبد الله الهندي يقول لي احمل هذه الرسالة الى شيخك وقل له أي ملحد أي باطني ونحو ذلك من الالفاظ القبيحة فكنت أخبر سيدي أحمد بذلك فيقول لي قل له صدقت ) اه

(٢) من ذلك ما رأيته في البهجة الرفاعية عند بني الضياد في طرابلس الشام وهو ان سيدي أحمد اشترى من الشيخ اسماعيل بن عبد النعم شيخ أونييه بستاناً بتصرف في الجنة وكتب له بذلك صكاً بخطه هذه صورته ( بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى اسماعيل من عبد النعم من الفقير الحقير أحمد بن أبي الحسن الرفاعي الضامن على كرم الله سبحانه وتعالى تصراً في الجنة يجمعه حدود أربعة الاول الى جنة عدن والثاني الى جنة المأوى والثالث الى جنة الخلد والرابع الى جنة الفردوس بجميع ولدانه وحواره وفرشه وأسرته وأشجاره وأشجاره عوض بستانه والله شاهد وكافل ) ثم أنه طوي الكتاب وسامعه اليه اه والنص مبسوط في ذلك الكتاب وفيه من أمثالها كثير وقد أتينا في كتابنا ( الحكمة الشرعية في محاسبة القادريين والرفاعية ) على المعجب المعجيب من مثل ذلك وسيطع عن قريب ان شاء الله تعالى

اورده الامام حجة الاسلام الغزالي في الرد على الذين يدعون ان نزول  
البلاء بأعدائهم يكون انتقاماً لهم على سبيل الكرامة من ان الذين كانوا  
يؤذون الانبياء ويقتلونهم ما كان يحل بأشخاصهم البلاء والمذاب فهل كان  
هؤلاء الاشقياء او الصالحاء اكرم عند الله من الانبياء (سبحانك هذا  
بهتان عظيم) ومما يقضي بالمعجب ان مسألة التصرف في الكون

لقد هزلت حتى بدا من هزالها \* كلاها وحتى سامها كل مفلس

يدعيها الدجال المسترسل في الفجور الذي اغواه الشيطان بشهادة الفساق  
او الكفار له بالقضية والقوية من مراتب الولاية لينالوا منه مالا او جاهاً  
وحسب العاقل هذا في النفور عن اهل هذه الدعوى وتكذيبهم فكيف  
والوجود يكذبهم والشواهد التي اشرنا اليها تفند مزاعمهم وفوق ذلك كله  
كتاب الله يخاطب نبي الله ارشاداً لعماد الله بمثل قوله (قل لا املك لنفسي  
نعماً ولا ضراً) وقوله (قل اني لا املك لكم ضراً ولا رشداً) نعم ان الدجالين  
قد جعلوا مسألة التصرف من باب كرامة الله لا وليائه وسيأتي الكلام على  
الكرامات ان شاء الله تعالى

﴿ استهاض هم ﴾

(٣)

قال قائل من مستمعي حديثي واذا تخاذلت والعياذ بالله تلك الحكومات  
وتباطأت عن الشروع في تأسيس هذه الوحدة ووضع مقدمات الاصلاح  
واخفق سمي عقلاء الامة العاملين على النهضة الساعين في تنبيه الافكار  
وتنوير الازهار كيف تكون النتيجة والام تؤول حال المسلمين والى أي